- ✓ إذا كان البحث في الدلالة والمعنى ،فهنا يتقصى الدارس كل ما من شانه أن يؤدي إلى فهمها، مستعينا بما تطرحه اللسانيات في موجاتها المختلفة–الدال، المدلول،التداول– من أجل القبض على المعنى وفهم المراد.وهنا تلتقي الأسلوبية في جانبها اللغوي أي أسلوبية شارل بالي لتتفق مع ما يطرحه تحليل الخطاب في هذا الأمر.
- ✓ وإذا كان البحث في الجانب الجمالي، فهنا يستعين الباحث بما تطرحه المناهج النقدية سواء أكانت سياقية كالمنهج النفسي والاجتماعي والتاريخي،أم نسقية كالبنيوية وما بعدها من تفكيكية ونظريات للقراءة والتلقي ونقد ثقافي،والغرض من هذا جميعا هو الوصول إلى الجوانب الجمالية في الخطاب، وفي هذه النقطة بالذات يمكن للأسلوبية التعبيرية وهي القادرة منهجيا أن تتفق مع تطرحه نظريات تحليل الخطاب.

البلاغة والخطابة

لقد تعرفنا في الفصول السابقة على البلاغة، وعلومها، وعلاقتها باللسانيات، وتحليل الخطاب،وهنا سنتعرف على الخطابة وعن علاقتها بالخطابة.

وقبل الدخول في تفاصيل هذه القضية، وجب علينا طرح سؤال متعلق بطبيعة ترجمة المصطلح في حد ذاته؛ فالخطابة هي Rhétorique،وتأتي في مقابل الشعرية .La poétique في الدرس الغربي،

كما أن ترجمة البلاغة هو Rhétorique أيضا، فهل معنى هذا أن الدرس البلاغي عند العرب لا يفرق بينهما ؟ أم أن هناك أمورا أخرى، قد تكون من قبيل العام والخاص وتسمية أحدهما بالآخر.

تعريف الخطابة:

لغة "خطب الناس وفيهم وعليهم خطابة وخُطبة : ألقى عليهم خُطبة . وخطب فلانةً خَطبا وخِطبة ، طلبها للزواج . وخَطُب خَطابة : صار خطيبا . وخاطبه مخاطبة وخِطابا ، كالمه وحادثة ، أو وجّه إليه كلاما . والخِطاب : الكلام ،وفَصْل الخِطَاب هو خطاب لا يكون فيه اختصار مُخِلّ ولا إسهاب مُمِلّ ، والخُطْبة : الكلام المنثور يخاطِب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم ، ومن الكتاب : مصدره جمع خُطَب ، والخَطَّاب : وصف للمبالغة للكثير الخطبة والخَطْب والمخاطبة والتخاطب : المراجعة في الكلام ، ومنه الخُطْبة ، ويقال من الخُطْبة : خاطِب وخطيب ، ومن الخِطبة : خاطب لا غير .

والخَطْب:

أيضًا الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب"[1]

اصطلاحا:ومن تعريفاتها ما يلي:

أ-" قوة تتكلف الإقناعَ الممكنَ في كل واحد من الأمور المفرَدة"[1]

[1] الفيروز آبادي ،القاموس المحيط . مؤسسةالرسالة . بيروت ط 3، 1987ص 104

ب–"فنُّ مشافهةِ الجمهور ، وإقناعِه واستمالتِه . فلابد من مشافهة ، وإلا كانت كتابة أو شعرًا مدونًا. ولابد من جمهور يستمع ، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية. ولابد من الإقناع ، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين ، ويؤيدَه بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده ، ثم لابد من الاستمالة ، والمراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئَها ، ويقبضَ على زمام عواطفهم يتصرّف بها كيف شاء ، سا را أو مُحزِنًا ، مُضحِكًا أو مُبكيًا ، داعيًا إلى الثورة أو إلى السكينة، وإذاً فأُسُس الخَطابة مشافهة ، وجمهور، وإقناع ، واستمالة"2

موضوع الخطابة: ويمكننا إجمالها فيما ذكره ابن رشد عن أرسطو ،حيث يقول:" أن الخَطابة ليس لها موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره ، فإنها تتناول كل العلوم والفنون ، ولاشيء –حقيرًا كان أو جليلًا ، معقولا أو محسوسا – لا يدخل تحت حكمها ، ويخضع لسلطانها ، ومن ثم قال الباحثون في شأنها : يلزم أن يكون الخطيب ملما بكل العلوم والفنون ما استطاع ، وأن يسعى دائبًا إلي أن يزداد كل يوم علمًا"3

---

[1] أرسطو طاليس ،الخطابة ، تح: عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1995 ص9 .

[2] أحمد محمد الحوفي ،فن الخطابة ، نهضة مصر . القاهرة، ص 5

[3] علي محفوظ ، فن الخطابة ،دار الاعتصام، القاهرة .ص 13

تاريخها: يرى العديد من الباحثين أن أمر الخطابة ضارب في تاريخ البشرية ،حيث:" لم يخْلُ من الخَطابة سِجلّ أمة وعى التاريخ ماضيَها ، فقد حفظها خط آشور المسماريّ ، وقيدها خط الفراعنة الهيروغليفيّ ، ثم رواها تاريخ اليونان السياسيُّ والأدبيُّ منذ القرن السابع قبل الميلاد ، وبها أخضع بوذا الجموع الهندية لتعليمه ، وبها أذاع الدينَ أنبياءُ بني إسرائيل ، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام ، وفي أسواقهم الأدبية بنوع خاص"[1]

الخطابة عند اليونان: يمكننا القول بأن الخَطابة عند اليونان عاشت رقيا وازدهارًا وتقدما ،حيث توفرت لها دواعي الازدهار وأسباب التقدم ، والتي يمكن أن تتلخص فيما يلي:[2]

أ- أجواء الحروب والمناوشات التي عاشتها البلاد اليونانية

ب- ظهور المسارح والفنون والآداب ونشاطها ، وخاصة في إسبرطة ،وكانت بمثابة منابر للخَطابة ، مما أدى إلى نهضة خطابية ، وتدريب على حسن الإلقاء.

ج- النظام السياسي الذي توفرت في ظله الحرية السياسية ، وكان لكل صاحب رأي أو اتجاهٍ الحقُّ في أن يعبر عن رأيه ، ولما كانت الجماهير عادة تتأثر

[1] أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة ، ص 390

[2] ينظر: عبد الجليل شلبي، الخطابة، دار الشروق، القاهرة ، ط3، 1987ص145

ببلاغة الخطيب وبيانه أكثر من حججه المنطقية ، كان يتبارى الخطباء في إجادة خطبهم أداءً ومضمونا كي يجتذبوا مشاعر الجماهير ، ويستميلوهم إليهم ، ويقنعوهم بآرائهم

د- نظام القضاء ، حيث كان مجلس القضاء يتكون من عدد من القضاة يزيد على المائة ولهذا ظهر خطباء لن ينساهم التاريخ ، ومن هؤلاء ديموستنيس و سولون الأثينى

ترتبط حال الخَطابة الرومانية بحال الحكم في تلك البلاد ، وكان أشهر خطباء العصر الروماني ماركوس توليوس شيشرون الذي" طغت شهرته على مَن سواه بسعة ثقافته وغزارة مؤلفاته ، وتدفق بيانه في الخَطابة"، وممن نبغوا في الخَطابة في الرومان كذلك : الخطيب الروماني الأسباني الأصل كونتليان فقد كان خطيبًا بليغًا ، من علماء البيان ، وقام بتدريس أصول البلاغة خطيبًا بليغًا ، من علماء البيان ، وقام بتدريس أصول البلاغة وألف كتابا ضخما عن" أسس الخَطابة" يتكون من اثني عشر جزءًا ، أولها يبدأ بالكلام عن تربية النشء ، ثم ينتقل في الأجزاء الأخرى إلى الكلام عن أصول الخَطابة وقواعدها ولقد اشتهر

بأسلوبه الأخاذ الجميل ، الذي أعجب به كل من قرأه ، لذلك كان تأثيره كبيرا ، في العصور القديمة وفي عصر النهضة أيضا"[1]

العصر الجاهلي:لقد اشتهرت البلاغة عند العرب كغيرها من الأمم السابقة،وكان من " أشهر خطبائهم في هذا العصر قُسُّ بنُ ساعدةَ الإياديُّ ، وعمرو بن كلثوم التغلبيُّ ، وأكثمُ بن صيفيٍّ التميميُّ ، والحارث بن عباد البكري ، وقيس ابن زهير العبسي ، وعمر بن معد يكرب الزبيدي"[2]

ولقد كان لكل قبيلة شاعر وخطيب ، وكانت منزلة الشعراء في الجاهلية مقدمة على الخطباء ، ثم تأخروا عن الخطباء فيما بعد ، و قد ذكر الجاحظ عن أبى عمرو بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ، ويفخّم شأنهم ، ويهوّل على عدوهم ومَن غزاهم ، ويهيّب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ، ويهابهم شاعرُ غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر[3]

---

[1] ول ديورانت ،الوجيز في قصة الحضارة .دار طلاس ، دمشق . ط1، 1993 م .ج2ص127

[2] أحمد حسن الزيات، .تاريخ الأدب العربي . دار نهضة مصر ، القاهرة، ص20

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1 ص241

وكان خطباء العرب يلجئون إلى الإشارة بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم ، وأحيانا بالعصيّ وكانوا يجلسون في خطب النكاح ، ويقومون في خطب الصلح ، وكلِّ ما دخل في باب الحَمَالة ، وأكّد شأنَ المخالفة ، وحقق حرمة المجاورة ، وكانوا يخطبون على رواحلهم في المواسم العظام ، والمجامع الكبار

الخطابة في عصر صدر الإسلام : ومنذ ذلك الحين أَهَلَّ على الخَطابة زمان جديد ، كان إيذانا بارتقائها وعلو شأنها، فقد اعتمدت الدعوة الجديدة على الخَطابة في نشرها ، والدفاع عن مبادئها ضد خصومها ، وكذلك صنع المناوئون لها ، ثم إن الإسلام بالإضافة إلى اعتماده على الخَطابة في نشر الدعوة ، قد جعلها ضمن الشعائر التعبدية ، ففرض خطبة كل يوم جمعة ، لا تصح الصلاة بدونها ، كما أن هناك الخطب المشروعة في الحج ، وفي الاستسقاء ، وفي الخسوف والكسوف ، وفي الزواج ،

والجهاد وغيرها ، كما أن الشريعة الإسلامية تحث دائما على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإسداء النصح للآخَرين

وأهم ما ميزها أمران:

الأول: شكلي: ويتمثل في الاستهلال والحمدلة و الصلاة والسلام على الرسول الكريم والاختتام بدعاء

الثاني:في المضمون وهو دخول المواضيع ذات الصبغة الدينية في الخطب

. "وجملة القول أنه ليس في عصور اللغة عصر زها بالخَطابة ، وحفل بالخطباء كهذا العصر ، لانصراف العرب عن الشعر إليها ، واعتمادهم في الدين والسياسة عليها"[1]

ومن أشهر الخطباء بعده صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون،وجعفر بن أبي طالب وغيرهم

العصر الأموي:

يكاد يجمع المؤرخون للأدب العربي على أن الخَطابة شهدت في العصر الأموي أزهى عصورها ، وأنها راجت رواجًا كبيرًا ، لاسيما في أول قيام الدولة ،ثم في مراحلها المختلفة.

وقد ساعد على هذا توفرُ دواعي الخَطابة في ذلك العصر ، والتي كان أبرزها وجود الخلافات المذهبية والأحزاب السياسية منذ فجر الدولة ، بل منذ خلافة سيدنا علي كرم الله وجهه ، فقد ظهرت الشيعة والخوارج ، وكان ثَمّ حزبٌ للإمام عليّ ، وآخرُ لسيدنا معاوية ، ثم بعد ذلك تتابعت الفتن والأحداث ، فكان استشهاد الإمام الحسين"ولما وصل خبر مقتل الحسين بن علي إلى

[1] أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربى، دار نهضة مصر ، القاهرة ص 176

الحجاز ؛ أعلن عبد الله بن الزبير خلع يزيد ، وبدأ يأخذ البيعة لنفسه من الناس"[1]

وكان من أمر ابن الزبير مع الأمويين من الحروب ما كان ، كما قامت جماعة من الشيعة بالعراق واتفقوا على أن يأخذوا بثأر الحسين بن عليّ ،ويقتلوا مَن قتَله"[2]

كما ساعد على ازدهار الخَطابة في هذا العصر عوامل أخرى:

منها" : الجدل المحتدم بين الفرق الدينية ، ومنها : كثرة الوفود على الخلفاء والولاة ، وقيام بعض الوعاظ بالخَطابة في المساجد ووعظ الناس ، منذ نصّبهم معاوية لهذا الغرض ، ومنها : إقبال البلغاء على القرآن الكريم يحفظون ويدرسون ، ونماء الثقافة اللغوية والأدبية في تلك الحقبة ، والعناية بحفظ ما خلفه السابقون"[3]

ومما ساعد على ازدهارها كذلك أنه" كانت تُعقد مجالس للمباراة في الخَطابة، والسبق فيها ، وكثيرا ما كان يُدعَى الشخص إلى القول مفاجأة ، ليُختبَر مقدار بيانه ، وقوة جنانه ، وحضور بديهته ، ونهوض حجته ، ومن ذلك ما عقده عبد

[1] محمود شاكر ،التاريخ الإسلامي ،المكتب الإسلامي . بيروت . ط6، 1991 ج4ص61

[2] نفسه،ص71

[3] أحمد الحوفي . فن الخطابة ص 213

الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق من مجلس للخَطابة ،تبارى فيه خالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبة ، والفضل بن عيسى ، وواصل بن عطاء ، وقد نال في ذلك المجلس قصبَ السبق واصلُ بن عطاء"[1]

ولقد اشتهر في هذا العصر خطباء كثيرون منهم معاوية بن أبي سفيان ،وعمرو بن العاص ، وواصل بن عطاء ، وزياد ، والحجاج ،وعمر بن عبد العزيز وغيرهم

في العصر العباسي:

لما قامت الدولة العباسية احتاج خلفاؤها إلى توطيد أركان دولتهم، وتثبيت سلطانهم ،فكانت الخطابة سلاحهم لبلوغ هذا الهدف .كما أنعشت الفتوح الخطابة في ذلك الوقت ، لبثّ روح الجهاد والتضحية في نفوس المجاهدين ، كما كانت هناك خطب الوعظ ،وتفقيه الناس في أمور دينهم. كما" أن الذين كانوا يباشرونها ، ويعتلون منابرها ، ويديرون رحاها بين الناس ، كانوا في الغالب سادة البيان ، وصيارفة القول ، لأنهم خلفاء وأمراء ووزراء وملوك علم وأدب ، وفقه ، وفصاحة وبلاغة ، وهم إلى جانب ذلك كلِّه عرب باللسان والبيان ، والميول والهدف ، ولا يمكن أن يتوفر للخَطابة من عناصر القوة والحياة ، أكثرُ

[1] أبو زهرة ، الخطابة ، دار الفكر العربي ، القاهرة . ط2، 1980ص 29

مما يتوفر لها حينئذ في هذا الجوار العربي الأصيل ، عند هؤلاء السادة الأمجاد الذين كانوا يقومون بها"[1]

وكان للخلفاء الأولين ودعاتهم فيها الشأن الرفيع والشأو البعيد ، كالمنصور والمهدي والرشيد والمأمون وداود بن علي ، وخالد بن صفوان ، وشبيب بن شيبة

الخطابة في العصر الحديث

بالرغم من تطور وسائل الاتصال الجماهيري وتنوع أشكالها في العصر الحديث لم تفقد الخطابة رونقها بل ازدادت أهميةً لقدرة وسائل الاتصال الجديدة من أجهزة التلفاز والمذياع المرتبطة بالأقمار الصناعية من تعميم الخطاب على عدد هائل من سكان المعمورة . والخطابة اليوم خصوصاً الخطابة السياسية والدينية تُعد من أكثر أنواع الخطابة تأثيراً في الجماهير .

وبعد التعرف على الخطابة ومراحل تطورها ندرك بجد مايلي:

- ✓ الأهمية الكبرى للخطابة عند جميع الأمم وفي كل العصور
- ✓ رغم اختلاف بنيتها إلا أن غايتها واحدة وهي الإقناع أو زيادته إن كان موجودا.

[1] إبراهيم علي أبو الخشب ،تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ، دار الفكر العربي . القاهرة ص560

الفرق بين البلاغة والخطابة

ويمكننا التفريق بينهما من خلال ما يلي:

- ✓ البلاغة العربية تهدف إلى بناء المقال الذي يوافق مقتضى الحال ،مع الزيادة على ذلك بكل ما من شأنه أن يؤدي إلى الإقناع أو التأثير؛فالإقناع مختص بطبيعة بناء الحجج لغويا لتناسب طبيعة المتلقين ،ومنه حصول التأييد،وأما التأثير فهو مختص بالجانب الجمالي في البلاغة سواء كان من خلال الصور البيانية أو المحسنات البديعية.

وبهذا الطرح تكون البلاغة العربية قد جمعت في طياتها بين ما هو شعري تخييلي وهو الأمر الخاص بجانب التأثير،وبين ما هو تداولي وهو الجانب المتعلق بالإقناع

ولهذا ألف أحد الباحثين كتابا عنونه بـ"البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول"

- ✓ وأما الخطابة فهدفهما الإقناع وحشد التأييد،ولهذا يلجأ الخطيب في كتابتها على كل ما من شأنه أن يسهم في تحقيق ذلك الإقناع.

وعليه نجد أن البلاغة أعم من الخطابة،وتأسيسا على ذلك نقول: إن ترجمة البلاغة "Rhétorique"وترجمة الخطابة بـ"Rhétorique" هو إنقاص من قيمة البلاغة؛فالبلاغة تحوي الجانبين: الشعريPoétique والجانب الخطابيRhétorique.